

حريق دمشق.. لم يكن الأول ولن يكون الأخير

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية



لا أعرف إذا كانت تربط السفير الإيراني الأسبق إلى لبنان، مسعود إدريس كرمشاهي، صلة قربي مع مرشحة دمشق لانتخابات نظام بشار الأسد البرلمانية الأخيرة، رقية شبلي كرمشاهي؛ لكن ما أستطيع أن أجزم به كسورية الهوية ودمشقية المولد، أن كنية المرشحة تنتهي إلى أصحاب الجنسيات السورية حديثة العهد وقد أغدقها حافظ الأسد على الحشود الإيرانية التي كانت تصل دمشق في ثمانينات القرن الماضي لتلقن في ضواحيها وفي أعلى جاذات جبل قاسيون في منطقة المهاجرين. كان هدف الأسد الأب من عملية التجنيس الجماعي تلك، توطيد حلفه العقائدي مع طهران الذي بدأ منذ انقلاب الماللي على حكم الشاه ووصول آية الله الخميني إلى السلطة، بدعم أميركي فرنسي مزدوج في العام 1979.

لم تكن جائحة كوفيد - 19 وحدها من منع السوريين في مناطق النظام - وهم في أغلبهم من الموالاة أو من الرمايين، الذين ينتظرون اتجاه رجاحة الدفة ليتجهوا معها، أو من الصامتين الذين لا حول لهم ولا قوة - من التوجه إلى صناديق الاقتراع البرلمانية، التي شهدت نسبا متدنية جدا من الناخبين، بل الأسباب عديدة يمكن اختصارها في الحالة المستشرية من الانفصال التام بين الشارع المؤيد من جهة، وبين أركان النظام ورياسته من جهة أخرى، لاكتشاف أوراق كانت معروفة لكنها مستترة أو مسكوت عنها حتى تاريخ الظهور العلني لتسجيلات ابن خال بشار الأسد، رامي مخلوف، لتسقط ورقة التوت الأخيرة. مهزلة الانتخابات البرلمانية فضع أمرها المقتربون من النظام قبل معارضيه، وكذا نأى عنها الملايين من السوريين المبعدين عن بلداهم، في عملية تهجير طوعي أو قسري أدارها النظام منذ سبعينات القرن الماضي، تجلت بداية بما يمكن أن نصلح عليه "تطفيشا"، وأقصم بهذا التعبير الشعبي ظاهرة الدفع بالكفاءات والأدمغة والقوى الوطنية البرجوازية من أصحاب الصوت الوطني الحر للمغادرة.

أما وريث كرسي حافظ الأسد، ابنه بشار، فقد تابع نهج التهجير والتفريق المجتمعي بأعنف صوره إثر اندلاع الثورة السورية المناجدة، دافعا بالملايين إلى الخارج، مستكماً خطة أبه في تحقيق فراغ سكاني يتسوق مع تغيير ديمغرافي منهجي في المدن الكبرى حيث النفوذ الإيراني الحليف يلقى بظله الثقيل باقذح شواهد. مرشحة محافظة الحسكة، بروين إبراهيم، كانت من أول من خرج على وسائل التواصل الاجتماعي لتعزية الغش والتزوير الذي مورس في مراكز الاقتراع، متهمه حزب البعث الحاكم بكونه إقصائي يرفض المشاركة ويتعامل وكان سوريا مزرة له؛ وتساءلت المرشحة إبراهيم في تسجيل مصور لها "ما الذي أنجزه البرلمان السابق الذي سيطر عليه البعثيون؟"

وأفادت عن التجاوزات التي شهدتها الانتخابات "قمنا بإحصاء 32 مركز اقتراع في قطعات عسكرية حيث تم توجيه العسكر لانتخاب قائمة حزب البعث حصراً". في مقابل هذه التهم الصارخة من داخل أروقة الموالين، سارع وزير عدل النظام بالدفاع عن الشفافية والنزاهة التي سادت العملية الانتخابية، عازياً تدني نسبة المشاركين في الإدلاء بأصواتهم إلى وجود عدد كبير من السوريين خارج البلاد، وباطبع لم يذكر أسباب مغادرة الملايين بلداهم الأم هرباً من آلة القتل والتنكيل التي مارسها نظامه وحلفاؤه. المرشحة كرمشاهي لم تتجح في الانتخابات، لكنها وضعت بيضة الأفعى الأولى في التراب السوري، لاحتتمالات قادمة من وصول المتجنسين من أصول إيرانية، إلى أعلى مواقع القرار، في المناطق التي استطاع



«حزب الله».. أنا لبنان ولبنان أنا

في النهاية، يرى "حزب الله" أنه يمثل الإجماع اللبناني. على كل من لا يعجبه ذلك عليه مغادرة لبنان. ذهب "حزب الله" إلى سوريا بإجماع لبناني وهو يرفض، باسم الإجماع اللبناني، الدعوة إلى "الحجاد" التي أطلقها البطريرك الماروني بشار الراعي. يرفض، باسم الإجماع، كل ما صدر عن البطريرك إن بالنسبة إلى "فك أسر" الصادرة عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، في مقدمتها القرارات 1559 و1680 و1701. باختصار شديد أراد "حزب الله" القول: أنا لبنان، ولبنان أنا.

ليس لدى إسرائيل أي اعتراض، أقله في الوقت الحاضر، على ما يقوم به "حزب الله". إذا كان "حزب الله" واجهة لبنان في العالم، فإين المشكلة؟ العالم كله تقريباً، صار يصنف "حزب الله" كتنظيم "إرهابي". ما الذي لدى إسرائيل تخسره عندما يكون لبنان في "عهد حزب الله" و"حكومة حزب الله"؟ هل خسرت إسرائيل شيئاً عندما أصبحت "حماس" التي يرمز إليها الفلسطينيون المثلث الذي يحمل بنديقية ويستعرض صواريخ رمزاً لفلسطين وقضية فلسطين؛ كل ما حصل أن الجلال الإسرائيلي صار الضحية، في حين أن الضحية الحقيقية، وهي الشعب الفلسطيني، صارت الجلال. أقله بالنسبة إلى المجتمع الدولي. مرة أخرى يثبت "حزب الله" أن لبنان واللبنانيين آخر همومه. لبنان ليس سوى "ساحة" لإيران تستخدمها كما تشاء بما يخدم مصالحها التي تتناقض كلياً مع مصالح لبنان. من أجل بقاء لبنان "ساحة".

يمكن الحديث عن عملية في شيعا تمّ التراجع عن تنفيذ مثل هذه العملية. المهم استمرار الاسماك بلبنان واللبنانيين وبقاء لبنان واللبنانيين رهائن لدى إيران في وقت تدور فيه حرب من نوع مختلف في المنطقة.

المهم أن يكون قرار الحرب والسلام في لبنان قراراً إيرانياً في مرحلة تطرح فيها أسئلة كثيرة عن وضع القوات الدولية في الجنوب اللبناني ومستقبلها. هذه القوات موجودة أصلاً منذ العام 1978، لكنه جرى تعزيزها صيف العام 2006 مع صدور القرار الرقم 1701 عن مجلس الأمن. كيف سينظر المجتمع الدولي، وعلى رأسه الولايات المتحدة إلى وضع القوات الدولية، المفترض تمديد مهمتها في 31 من آب - أغسطس المقبل، والتي يقول الأمين العام لـ "حزب الله" إن وجودها لا يهجم بقيت أو رحلت؟

الملك، ثم نفى أن يكون نفذها بعدما وزع أنصاره الحلوى في الشوارع احتفاءً بـ"الانتصار" الجديد على إسرائيل، سوى تعبير عن الرغبة في زج لبنان في حرب يبدو مطلوباً أن يكون له دور فيها عصبياً عن رغبة شعبه.. ولكن بموافقة الحكومة والعهد الميمونين.

من الواضح، أن هذه الموافقة أكثر من طبيعية في ظل الهيمنة التي باتت "حزب الله" يمارسها في كل المجالات اللبنانية. يؤكد ذلك نجاحه في عزل لبنان عن العرب والعالم. هذا ما دفع وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان إلى إبلاغ أحد كبار المسؤولين ما معناه أن العالم ليس مستعداً لمساعدة لبنان في ظل وجود مثل هذه الحكومة. لا شك أن الفراغ يبقى أفضل من هذه الحكومة.. مظلماً أن الفراغ في رئاسة الجمهورية كان أفضل من انتخاب مرشح "حزب الله".

ما يؤكد أن الفراغ كان أفضل، إن على صعيد رئاسة الجمهورية أو على صعيد رئاسة الحكومة، غياب أي رد فعل يصدر عن أي من المسؤولين على عملية لـ "حزب الله" في شيعا رداً على قتل إسرائيل لعنصر من "حزب الله" يقاتل في سوريا، أي يشارك في الحرب، ذات الطابع المذهبي، المستمرة منذ تسع سنوات على الشعب السوري. قد يكون هدف "حزب

الملك، ثم نفى أن يكون نفذها بعدما وزع أنصاره الحلوى في الشوارع احتفاءً بـ"الانتصار" الجديد على إسرائيل، سوى تعبير عن الرغبة في زج لبنان في حرب يبدو مطلوباً أن يكون له دور فيها عصبياً عن رغبة شعبه.. ولكن بموافقة الحكومة والعهد الميمونين.

من الواضح، أن هذه الموافقة أكثر من طبيعية في ظل الهيمنة التي باتت "حزب الله" يمارسها في كل المجالات اللبنانية. يؤكد ذلك نجاحه في عزل لبنان عن العرب والعالم. هذا ما دفع وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان إلى إبلاغ أحد كبار المسؤولين ما معناه أن العالم ليس مستعداً لمساعدة لبنان في ظل وجود مثل هذه الحكومة. لا شك أن الفراغ يبقى أفضل من هذه الحكومة.. مظلماً أن الفراغ في رئاسة الجمهورية كان أفضل من انتخاب مرشح "حزب الله".

ما يؤكد أن الفراغ كان أفضل، إن على صعيد رئاسة الجمهورية أو على صعيد رئاسة الحكومة، غياب أي رد فعل يصدر عن أي من المسؤولين على عملية لـ "حزب الله" في شيعا رداً على قتل إسرائيل لعنصر من "حزب الله" يقاتل في سوريا، أي يشارك في الحرب، ذات الطابع المذهبي، المستمرة منذ تسع سنوات على الشعب السوري. قد يكون هدف "حزب

الملك، ثم نفى أن يكون نفذها بعدما وزع أنصاره الحلوى في الشوارع احتفاءً بـ"الانتصار" الجديد على إسرائيل، سوى تعبير عن الرغبة في زج لبنان في حرب يبدو مطلوباً أن يكون له دور فيها عصبياً عن رغبة شعبه.. ولكن بموافقة الحكومة والعهد الميمونين.

خير الله خير الله
إعلامي لبناني



كلام كثير هذه الأيام عن الحرب الدائرة في المنطقة، وهي حرب بكل ما في الكلمة من معنى. خلطت هذه الحرب، الفريدة من نوعها، بين التكنولوجيا المتطورة والضربات التقليدية التي تستهدف أهدافاً في سوريا.. والضغط الاقتصادي التي يبقى أفضل مثل عليها العقوبات الأميركية على إيران.

تدور الحرب خارج لبنان الذي يبدو مصراً على زج نفسه فيها في ظل وجود "حكومة حزب الله" في "عهد حزب الله". يدفع لبنان ثمناً غالياً على كل صعيد بسبب إصرار "حزب الله" على زجّه في حرب إقليمية بناء على طلب إيراني ليس إلا.

التمن الذي يدفعه لبنان كبير إلى درجة أن مصيره صار في مهب الريح، خصوصاً في ظل أزمة اقتصادية لم يشهد مثيلاً لها منذ قيامه قبل مئة عام. يبقى أفضل تعبير عن هذه الأزمة الاقتصادية انهيار النظام المصرفي اللبناني الذي كان بمثابة العمود الفقري للاقتصاد. مع انهيار النظام المصرفي واحتجاز أموال المودعين، من لبنانيين وعرب وأجانب، ومع الكارثة التي لحقت بالنظام التعليمي، ومع الأزمة التي تعاني منها المستشفيات، هل لا يزال في الإمكان الحديث عن بلد اسمه لبنان؛ الأکید أن ذلك لم يعد ممكناً، خصوصاً إذا أخذنا في الاعتبار ما يعاني منه قطاع الكهرباء والأموال التي صرفت منذ 12 عاماً على يد وزراء "التيار الوطني الحر" (التيار العوني). يتبين يوماً بعد يوم أن صرف الأموال على الكهرباء لم يكن سوى عملية "تشبيح"...

ليس التوتر على الحدود اللبنانية - الإسرائيلية سوى تفصيل في هذه الحرب التي تصب في إفهام إيران بأن عليها الانسحاب من الأراضي السورية عاجلاً أم آجلاً. أكثر من ذلك، على إيران التراجع عن مشروعها التوسعي الذي يطال العراق، إضافة إلى سوريا ولبنان واليمن. تندرج الحرب الدائرة في هذا الإطار في وقت تصرّ فيه إيران على تأكيد أن لبنان ورقة من أوراقها وأنها لن تسمح بإفلات هذه الورقة منها. ليست العملية الأخيرة التي نفذها "حزب الله" في مزارع شيعا

